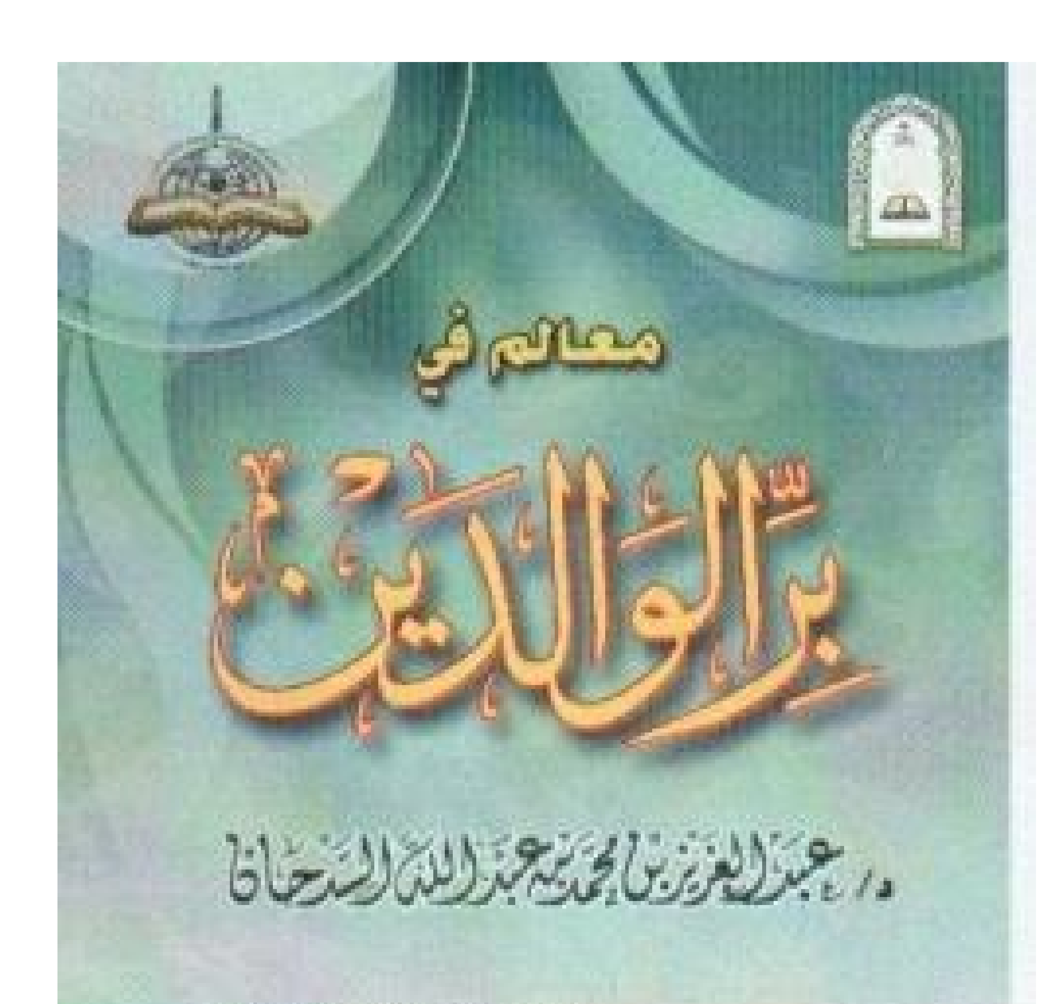
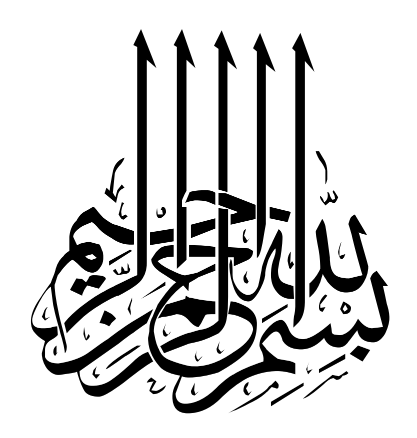
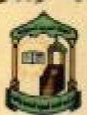

معالم في
بر الوالدين
د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان
تقديم سماحة المفتي العام للمملكة
عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ
طبع على نفقة
والدة محمد الشلهوب
أسكنها الله الفردوس الأعلى وبارك في ذريتها


بسم الله الرحمن الرحيم




المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد

فقد اطلعنا على كتاب (( معالم في بر الوالدين )) لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان _ وفقه الله _ فالفيناه على صغر حجمه قد حوى علماً جماً وتوجيهاً ونصحاً ، وحثاً على برالوالدين وبيان صور ذلك ، وتيسير الوصول إليه بذكر لأسباب المعينة عليه ، وتطرق لعقوق الوالدين وبيان وخيم عاقبة العاق لوالديه وذكر صوراً من العقوق وبين سوء العاقبة في الدنيا المشاهده ، فكيف بالآخرة نسأل الله العفو والعافية .

ولا شك أن هذا جهد كبير ، وعمل صالح ، ومشاركة في موضوع لا بد من التواصي به ، ويحتاجه الجميع الصغير والكبير والذكر والأنثى ، فالحمد لله الذي ألهم الشيخ عبدالعزيز الكتابة في هذا الموضوع ، والحمد لله الذي وفقه لإخراجه بهذه الصورة ، وأسأل الله أن يوفقه في أقواله وأعماله ، ويسدد خطاه ، وأن ينفع بهذا الجهد وغيره ويجعله ذخراً له يوم لقاه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،، .

عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم :      التاريخ : ٢٧ / ٩ / ١٤٢٦هـ      المشفوعات :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهمَّ لا سهل إلا ما جعلت سهلًا، وأنتَ تجعل العسير إن شئت سهلًا.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عينٍ لا تدمع، ومن نفسٍ لا تشبع.

اللهمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنَّا سيِّئَها لا يصرفُ عنَّا سيِّئَها إلا أنت.

اللهمَّ بارك لنا في أعمالنا وأعمارنا وذرِّياتنا وجميع شأننا.

أما بعد:

فهذه وصايا وتوجيهات وإرشادات تتعلق بحقّ الوالدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

عبدالعزيز السدحان

١٤٢٥/٧/٢٣هـ

# معالم في برّ الوالدين

## يا أيها الأبناء ...

لقد جعل الله الناسَ شعوبًا وقبائلَ ليتعارفوا، وتقوى تلك المعرفة أو تضعُف بحسب نـــوع الرابطة التي تجمعُهم، والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة متنوِّعة؛ فالإسلام هو الرابطة العامَّـــة، وهناك روابط لها شأن أخصّ، كرابطة الرَّحم، والمصاهرة، والجِوار، والصُّحبة، وغير ذلك.

## يا أيها الأبناء ...

ولما كان الناس يتفاضلون في الحقوق والصلة بحسب قوّة الروابط وقُربها من بُعدها؛ رتَّـــب الإسلام على ذلك أحكامًا وحقوقًا وواجبات تُبنى على أساس تلك الرابطة ونوعها.

فأمر بوصل رابطة الرَّحم دومًا، وحذّر من قطيعتها، كما جعل من حقّ رابطة الجـــوار أن يُكرَم الجارُ ولا يُهان، ويُحسَن إليه ولا يُؤذى، وكذلك ما يتبع الجار من حقّ الشُّفعة وغَيرها.

## يا أيها الأبناء ...

إنّ من أعظم الروابط بين الناس رابطة خصَّها الإسلام بمزيد من الذِّكر، وحرَّض عليها أكثر من غيرها، بل وأمر بوصلها والإحسان إليها في أحلك الظروف، وحذّر من المساس بأصـــحابها ولو بأدنى الألفاظ، تلكم الرابطة: هي ما يجمع كلًّا منَّا بأصله الذي جعلـــه الله تعـــالى ســـببًا لوجودنا، تلكم الرابطة هي رابطة الولد بأمِّه وأبيه: رابطة الوالدين.

معاشر الأبناء ...

إنّ شأن الوالدين عظيم، وحقّهما كبير وكبير.

قـــال تعـــالى: ﴿ 8‰Ÿã £óëﾌ $Bĵ $Z»¡ ômĵ Èûøt$Î°q9$$Î/r ç$ƒĵ Hwĵ (#ÿr߉ç7÷ès? žw& 7/‘ 4Ó|Ós%r

ÇÊÌÈ $Vƒ̍Ÿ2 Zwöqs% $Jßgs9 @è%r $Jèdöpk÷]s? Ÿwr 7e$é& !$Jßg©9 @à)s? Ÿxsù $Jèdŷ Ÿ2 ÷rr& !$Jèd߉n=ym& uŽy9Å6ø9$#

-٢٣ :[الإســـراء] ﴾ ÇËÍÈ ’ÎT$u‹/‘ $J.‹$J.t ÏJn=y ÏpyJôm§9$# šÆÏB ÉeA%!$# yy$uZy_ $Jßgs9 ôÙÏÿ÷z$#r

.[٢٤

قال الإمام ابنُ كثير رحمه الله تعالى: «ولهذا قرن بعبادته برَّ الوالدين، فقـــال: ﴿ Èûøt$Î°q9$$Î/r

$Z»¡ ômĵ﴾. كقوله في الآية الأخرى: ﴿ Èbr& öà6ô©$# Í<ur y7÷ƒy‰Ï9ºuqÎ9ur ÇÊÍÈ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقولـــــه: ﴿ 8‰Ÿã £óëﾌ $Bĵ $Jèd߉n=ym& uŽy9Å6ø9$# 7e$é& !$Jßg©9 @à)s? Ÿxsù $Jèdŷ Ÿ2 ÷rr& ﴾ أي: لا

تُسمِعْهُما قولًا سيِّئًا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيِّئ.

﴿ $Jèdöü? ÿwr ﴾ أي: لا يصدُر منكَ إليهما فعلٌ قبيح.

كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿ $Jèdöü? ÿwr ﴾ أي: لا تنفُض يدَك عليهما.

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسَن والفعل الحسن فقـــال: ﴿ @è%r $Jßg©9 Wwöqs% $VJƒÌx. ﴾ أي: ليِّنًا طيِّبًا حسنًا بتأدُّب وتوقير وتعظيم.

﴿ ôÙÏÿz÷z$#ur $yJßgs9 yy$uZy_ ÉeA—%!$# z`ÏB ÏpyJôm§9$# ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك.

﴿ @è%r Éb>§‘ $yJßg÷Hxqö‘$# $yJx. ’ÎT$u‹/u‘ #ZŽÉó¹ ﴾ أي: في كِبَرهما وعند وفاتهما» انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى.

يا أيها الأبناء ...

لقد أكثر اللهُ من ذِكر شأن الوالدين وأوجب الإحسان إليها لفضلهما وعظيم معروفهمـــا على ولدهما.

قــــال تعــــالى: ﴿ šRqè=t«ó¡o„ #sŒ$tB šcqà)ÏÿZãƒ ( ö@è% !$tB OçFø)xÿRr& ô`ÏiB 9Žöyz Èûøït$Î!ºuqù=n=sù ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وقال تعـــالى: ﴿ (#r߉ç6ôã$#ur ©!$# Ÿwr (#qä.Îô³è@ ¾ÏmÎ/ $\«ø‹x© ( Èûøït$Î!ºuqø9$$Î/ur $YZ»|¡ômÎ) ﴾ [النساء: ٣٦]. وقـــال تعـــالى: ﴿ ö@è% (#öqs9$yès? ã@ø?r& $tB tP§ym öNà6š/u‘ öNà6ø‹n=tæ ( žwr& (#qä.Îŏ³è@ ¾ÏmÎ/ $\«ø‹x© ( Èûøït$Î!ºuqø9$$Î/ur $YZ»|¡ômÎ) ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقـــال تعـــالى: ﴿ $uZøŠ¢¹urur z`»|¡SM}$# Ïm÷ƒy‰Ï9ºuqÎ/ çm÷Fn=uHxq ¼çmBé& $·Zôdur 4’n?tã 9`ôdur ¼çmè=»|ÁÏùur ’Îû Èû÷ütB$tã Èbr& öà6ô©$# ’Í< y7÷ƒy‰Ï9ºuqÎ9ur ¥’n<Î) çŽÅÁyJø9$# ﴾ [لقمان: ١٤]. وقـــال تعـــالى: ﴿ $uZøŠ¢¹urur z`»|¡SM}$# Ïm÷ƒy‰Ï9ºuqÎ/ $·Z»|¡ômÎ) ( çm÷Fn=uHxq ¼çmBé& $\döä. çm÷Fyè|Êurur $\döä. ( ¼çmè=÷Hxqur ¼çmè=»|ÁÏùur bqèW»n=rO #·öky- ﴾ [الأحقاف: ١٥].

## يا أيها الأبناء ...

إنّ من عظيم شأن الوالدين أنه يجب الإحسان إليهما والرِّفق بهما حتى ولو كانا مُشرِكَيْن، مع عدم طاعتهما في أيِّ معصية.

قال تعـــالى: ﴿ $uZøŠ¢¹urur z`»|¡SM}$# Ïm÷ƒy‰Ï9ºuqÎ/ $YZó¡ãm ( bÎ)ur š‚#y‰yg»y_ x8ÎŽô³çFÏ9 ’Î1 $tB }§øŠs9 y7s9 ¾ÏmÎ/ ÖNù=Ïæ

¾ìnÎ ÑÛü Xü èÜ2 Jß$ (}¥ B™Å ãaÑ ÷ß$ ã$/ Jä$ ŽÇÔ 0è?JèJbq ﴾ [العنكبوت: ٨]. وقـال تعـالى: ﴿ rr ¡ÜY$$¡ `» ¡ q°%!$ ãÑ¡ ìm Ï ¡ »Z$ q=¼ Ï Bç¼ Ê rr Ó ä $d rr qè¼ ÁÏ ¼ 0=bq

ö• ﴾ [الأحقـاف: ١٥]... إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدلّ ــ نصًّا أو تضمُّنًا ــ علــى حقّ الوالدين.

وأما أحاديث برّ الوالدين في السنَّة النبوية فكثيرة جدًّا، فمن ذلك:

ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألتُ رسولَ الله r : أيّ الأعمــال أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «بِرُّ الوالدين». قلــت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجُلٌ إلى رسول الله r فقال: يا رسولَ الله، مَن أحقّ الناس بحُسن صحابتي؟ قال: «أمُّك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمُّك». قال: ثم مَن؟ قــال: «أمُّك». قال: ثم مَن؟ قال: «أبوك». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضًا قال: قال النبيُّ r : «رَغِمَ أنفُ، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبواه عند الكِبَر أحدَهما أو كليهما فلم يدخل الجنة». أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي: «وقوله: «رغم أنف» معناه: ذلّ، وأصله: لصق أنفه بالرغام، وهــو تُراب مختلط برمل. وقيل: الرغم كلّ ما أصاب الأنف ممَّا يُؤذيه. وفيه الحثّ على برّ الوالــدين وعظيم ثوابه، ومعناه: أنّ برَّهما عند كبرهما وضعفهما والخدمة أو النفقة أو غير ذلــك ســببٌ لدخول الجنة، فمن قصَّر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم اللهُ أنفَه» انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: أقبل رجُلٌ إلى نبيِّ الله r فقال: أُبايعُك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجرَ من الله تعالى. فقال r : «فهل لك من والديك أحدٌ حــيّ؟». قال: بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجرَ من الله تعالى؟». قال: نعم. قال: «فارجع إلى والــديك فأحسن صُحبتَهما». متّفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية عند أبي داود قال رجُل: جئتُ أبايعُك على الهجرة وتركتُ أبويَّ يبيان. فقــال r : «ارجع إليهما فأضحكهُما كما أبكيتَهما».

وفي رواية لهما: جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ r فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟». قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد».

## أيها الأبناء ...

ولعظيم شأن الوالدين وكبير مترلتهما كان أنبياءُ الله تعالى ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من أبرِّ الناس بوالديهم؛ طاعة لهما إن كانا مؤمنَين، وشفقةً ونصحًا إن كانا من غير المؤمنين.

ولقد أخبرنا الله تعالى عن بعض سيَر أولئك المُصطَفَين الأخيار وكيف كانوا خيرَ أبناء بررة لآبائهم، فهذا نوحٌ عليه السلام ؛ يخُصُّ والديه بدُعائه لهما بالمغفرة، كما أخبر الله تعــالى عنــه بقوله: ﴿ ÏM»YÏBsßJø9$#ur ûüÏZÏBsßJù=Ïj9ur $YZÏBsãB |ÓÉLøt/ Ÿ@yzyŠ `yJÏ9ur £"t$Î!ºuqÏ9ur 'Í<öÏÿøî$# Éb>§ ﴾ [نوح: ٢٨].

وكذا ما أخبر اللهُ تعالى عن حال عيسى ابن مريم عليه السلام في شأن بِرِّه بأمِّــه: ﴿ #Ct/ur

'Î?t$Î!ºuqÎ/ #Ct/ur Óo_ù=yèøgs† öNs9ur $|‹É©#x© ﴾ [مريم: ٣٢].

قال ابن كثير: «أي: وأمرني ببرّ والدتي، وذكره بعد طاعة ربِّه لأنّ الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعةِ الوالدين» انتهى كلامه ـ.

وما كان من شأنَ عيسى ؛ في برِّه بوالدته كان كذلك من شأن يحيى عليه السلام في بــرِّه بوالديه: ﴿ #Ct/ur Ïm÷ƒy‰Ï9ºuqÎ/ öNs9ur `ä3tƒ #Y‘$¬6y_ $|‹ÅÁtã ﴾ [مريم: ١٤].

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى: «لما ذكر تعالى طاعته لربِّه ــ وأنه خلقه ذا رحمــة وزكــاة وتُقى ــ عطف بذِكر طاعته لوالديه وبرِّه بهما ومجانبته عقوقَهما قولًا وفعلًا، أمرًا ونهيًا» انتــهى كلامُه رحمه الله تعالَى.

## أيها الأبناء ...

وأما ما كان من شأن الخليل عليه السلام مع أبيه ودعوته إياه وتحبُّبه له فأمرٌ قد بلغ في البِرِّ غايتَه، وفي الرَّأفة والشفقة أوُجَّها، مع أنّ أباه كان كافرًا.

﴿ öä.øŒ$#ur 'Îû É=»tGÅ3ø9$# zOŠÏdºtö/Î) 4 ¼çm¯RÎ) tb%x. $Z)ƒÏd‰Ï¹ $†‹Î<¯R ÇÍÊÈ øŒÎ) tA$s% Ïm‹Î/L{ ÏMt/r'¯»tƒ zNÏ9 ß‰ç7÷ès? $tB Ÿw ßìyJó¡o„

Ÿwur çŽÅÇö7ãƒ Ÿwur ÓÍ_øóãƒ y7Ytã $\«ø‹x© ÇÍËÈ ÏMt/r'¯»tƒ 'ÎoTÎ) ô‰s% ’ÎTuä!%y` z`ÏB ÉOù=Ïèø9$# $tB óOs9 y7Ï?ù'tƒ ûÓÍ_÷èÎ7¨?$$sù

x8ω÷dr& $WÛºuŽÅÀ $|ƒÈqy™ ÇÍÌÈ ÏMt/r'¯»tƒ Ÿw ωç7÷ès? z`»sÜø‹¤±9$# ( ¨bÎ) z`»sÜø‹¤±9$# tb%x. Ç`»uH÷q§=Ï9 $|‹ÅÁtã ÇÍÍÈ ÏMt/r'¯»tƒ

þ’ÎoTÎ) ß$%s{r& br& y7¡¡yJtƒ Ò>#x‹tã z`ÏiB Ç`»uH÷q§9$# tbqä3tGsù Ç`»sÜø‹¤±=Ï9 $|‹Ï9ur ﴾ [مريم: ٤١-٤٥].

قال القاضي أبو السعود رحمه الله تعالى حول مخاطبة الخليل عليه السلام لأبيــه: «ولقــد سلك ؛ في دعوته أحسنَ منهاج وأقومَ سبيل، واحتجَّ عليه أبدع احتجاج بحُسن أدب وخلُــق جميل؛ لئلّا يركب متن المكابرة والعناد ... ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديَه إلى الحقّ المبين لما أنــه لم

يكن محظوظًا من العلم الإلهي مستقلًّا بالنظر السويّ، مُصدِّرًا لدعوته بما مَـرَّ مـن الاستمالة والاستعطاف، حيث قال: ﴿ 7 ïÙ Ň9 $B Ó‰ÏŠÉ Ï ’Îä ` 6% ’Ö ÏM/'»ƒ ﴾، ولم يُسَمِّ أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نَفْسَه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسَه في صورة رفيق له ...» إلى آخر ما قال :.

وأما ما كان من نبيِّنا محمد ج فمن أعجب العجب؛ فلقد كان بارًّا بعمِّه أبي طالب ـــ وهو في مقام أبيه ـــ فلقد كان r يُلازِم عمَّه أبا طالب ويتحبَّب إلى دعوته بأطيب الألفاظ حتى على فراش موته، فكان ج يدعو عمَّه برِفق فيقول: «يا عمّ، قُل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لكَ بها عند الله». وهذا من أعظم البِرّ من النبيِّ ج بعمِّه.

## أيها الأبناء ...

ولما كانت مسألةُ برّ الوالدين من المسائل العظيمة كثُر كلامُ العلماء في شأنها، بل صنَّفوا فيها مصنّفات مستقلةً، ناهيكم عن كتب الفضائل والجوامع والسلوك التي تخصِّص كتابًا أو بابًا أو فصلًا لشأن الوالدين، وكان ممَّن صنّف في هذا الشأن الإمام ابن الجوزي :، وقد جاء ضمن كتابه «البرّ والصلة» ما نصّه:

«أما بعد؛ فإني رأيتُ شبيبةً من أهل زماننا لا يلتفتون إلى برّ الوالدين، ولا يرونه لازمًا لزومَ الدين، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمَّهات، وكأنهم لا يعتقدون طاعتَهم من الواجبات، ويقطعون الأرحام التي أمر اللهُ بوصلها في الذِّكر، ونهى عن قطعها بأبلغ الزَّجر، وربما قابلوها بالهجر والجهر ...» إلى آخر ما قال.

ثم شرع في سرد النصوص والآثار، ثم قال: «وليعلم البارّ بالوالدين أنه مهما بالغ في بِرِّهما لم يَفِ بشكرهما.

عن زُرعة بن إبراهيم أنّ رجلًا أتى عمر ا فقال: إنّ لي أمًّا بلغ بها الكبَر وإنها لا تقضي حاجتَها إلا وظهري مطيَّة لها، وأُوَضِّئُها وأصرف وجهي عنها، فهل أدَّيتُ حقّها؟ قال: لا. قال: أليس قد حملتُها على ظهري وحبستُ نفسي عليها؟! فقال عمر: إنها كانت تصنعُ ذلك بك وهي تتمنّى بقاءَك، وأنت تصنعُ ذلك بها وأنت تتمنّى فِراقَها!

وجاء رجلٌ على عبدالله بن عُمر رضي الله عنهما، قال: حملتُ أمِّي على رقبتي من خراسان حتى قضيتُ بها المناسك، أتراني جزيتُها؟ قال: لا، ولا طلقة من طلقاتها! ...».

ثم قال المؤلّف بعد ذلك: «وبرُّهما يكون بطاعتهما فيما يأمران به ما لم يكن بمحظور، وتقديم أمرِهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نَهَيا عنه، والإنفاق عليهما، والتوخّي لشهواتهما،

والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما؛ فلا يَرفع الولد صوتَه، ولا يُحدِّق إليهما، ولا يدعوهما باسمِهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يَكرَه مما يصدُر منهما» انتهى كلامُه :.

فنسألك اللهمَّ أن ترزُقَنا برَّ والدينا أحياءً وأمواتًا.
اللهمَّ اجعلنا لهم قُرَّة أعين.
اللهمَّ اشرح صدورهما ويسِّر أمورَهما، وتوفّنا وإياهم وأنت راضٍ عنَّا.

## أيها الأبناء ...

وما تقدّم في الصفحات السابقة من كلامٍ عن برّ الوالدين قليلٌ من كثير، جاء كثيرٌ من النصوص الشرعية التي أكّدت عظيمَ مقام الوالدين ورفيع مكانهما.

وبكلِّ حال؛ فبرُّ الوالدين قُربةٌ من القُرُبات العظيمة تسابقَ إلى تحصيلها المتنافسون، وكان أنبياءُ الله ورُسُله ــ صلوات الله عليهم وسلامُه ــ في مُقدّم أولئك المتنافسين، وقد قصَّ اللهُ تعالى حالَ بعضِهم في رأفتهم وعظيم بِرِّهم وصنيعهم بوالديهم.

برّ الوالدين مفتاح كلِّ خير، ومغلاق كلّ شرّ؛ في برِّهما طاعة لله تعالى وطاعة لنبيِّه r ، ثم هو دَين يُدَّخر للبارّ في ذرِّيته فيرى ثمار برِّه قد أينعت في ذرِّيته، فتقرّ عينُه، وينشرح صدرُه، بل ويتحسَّر على عدم مضاعفة بِرِّه بوالديه؛ لما يرى ويلمس من برّ أولاده به.

## فيا أيها الابن ...

شمِّر عن ساعديك وسارع إلى والديك، فأصغ سمعَك لهما، واخفض جناح الذلّ لهما، وقُل: ربّ ارحمهُما كما ربَّياني صغيرًا.

واعلم ــ رعاك الله ــ أنه مهما عملت وستعمل فلن توفِّيهُما حقَّهما، وأنى لك بسداد دَينهما عليك وهما يُضاعفان دَينهما بدُعائهما لك وخوفهما عليك ومحبَّتهما لك؟!

## معاشر الأبناء ...

إنَّ شأنَ الوالدين عظيم جدًّا، وكيف لا يكون ذلك وقد آثرا براحتهما لولدهما يمرَضان لمرضه، ويحزنان لحزنه، بل لا يغمض لهما جفنٌ حتى تغمض عينا صغيرهما ويُسلِم نفسَه للرُّقاد.

ناهيكَ عمَّا يتبع ذلك من التحامل على نفسيهما ونسيان مرضهما وترك ما فيه إسعادهما، كلّ ذلك في سبيل إدخال السُّرور والرَّاحة على ولدهما.

لأمِّــك حــقّ لــو علمــتَ كــثيرُ ... كــثيرُك يــا هــذا لديــه يــسيرُ
فكم ليلة باتــت بثقلــك تــشتكي ... لهــا مــن جواهــا أنّــةٌ وزفــيرُ
وفي الوضع لو تدري عليهــا مــشقة ... فمن غــصص منــها الفــؤاد يطــيرُ
وكم غسلت عنــك الأذى بيمينــها ... ومــا حجرهــا إلا لــديك ســريرُ
وتفــديك ممــا تــشتكيه بنفــسها ... ومن ثــديها شــربٌ لــديك نمــيرُ
وكم مرّة جاعت وأعطتــك قوتهــا ... حنانًــا وإشــفاقًا وأنــتَ صــغيرُ

ويقول الآخَر في شأن الوالدين جميعًا:

إن كــان دينــهما أظلــك طالمــا ... منحاك محض الودّ مــن نفــسيهما
ما هــن إلا أبــصرا بــك علــة ... جزعا لما تــشكو وشــق عليهمــا
ما هن إذا سمعــا أنينَــك أســبلا ... دمعيهما أســفًا وشــق عليهمــا
وتمنيا لــو صــار حالــك راحــة ... بجميع ما يحويــه ملــك يــديهما
طوباك لو قــدّمت فعلًــا صــالحًا ... وقضيتَ بعض الحقّ عن حقّيهمــا

## أيها الأبناء ...

ومع كثرة النصوص والآثار الدالة على عِظَم شأن الوالدين ورفيع مكانهما؛ إلا أنّ بعــض الناس قد وجد الشيطان إلى قلبه طريقًا مُعبَّدًا!

فيا عجبًا من شأن الوالدين! ويا عجبًا لشأن ولدهما!

عجبًا لشأن أمٍّ كان بطنُها لولدها وعاءً، وثديُها له سقاءً، تمرَض لمرضه، وتفرح لفرحــه، وعجبًا لشأن والد يكدحُ ليلَه ونهارَه طلبًا للرِّزق والمأوى، يبكي أولاده إذا احتاجوا شيئًا فلا يقَرُّ له قرار ولا يهدأ له بالٌ حتى يقضي حاجتَهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

يا سبحان الله! ما أعجب أمرَ الوالدين في رحمتهما وشفقتهما، فكأنهما ظــلٌّ لولــدِهما؛ يتحرَّكان بحركته ويسكُنان لسكونه.

وأما الأعجب من هذا كلِّه، بل العجب الذي لا ينقضي: نكــران جميلــهما وكفــران معروفهما ومعاملتهما بالتي هي أشدّ وأسوأ!!

## أيها الأبناء ...

كم سمع الناس وقرؤوا وشاهدوا من مظاهر العقوق القولية والعملية ما يندى لــه الجــبين

ويتفطّر له القلب.

أمٌّ تُهان! ووالدٌ يُضرَب! وآخر يُلقى في دور العجزَة والمُسنِّين!

فنعوذ بالله من الخزي والعار في الدنيا والآخرة، اللهمَّ اكفنا شرَّ أنفسِنا والشيطان، اللهمَّ أوزعنا شُكرَ نعمتك وأن نعملَ صالحًا ترضاه وأصلح لنا في ذرِّياتنا.

اللهمَّ اجعلنا لوالدينا بررة، اللهمَّ اجعلنا سببًا في انشراح صدورهم، وفي إدخال السرور عليهم.

فيا من عَقّ والديه أو أحدَهما وأذاقهما الأمرَّين! ألا تتَّقي الله تعالى في نفسك؟ أرأيتَ لو أنّ أحدًا أسدى إليك معروفًا وقد لا تكون مُضطَرًّا إلى معروفه ذاك، ألا ترى أنه قد طوَّق عُنقك بمنّة تذكُرها منه وتشكُرها له وتحرص على ردِّها إليه؟

فكيف لو كنتَ مضطرًّا محتاجًا إلى معروفه ذاك فأدَّاه إليك راضيًا، ألم يأسرك بفضله عليك وعونه لك وهو معروف واحد؟ وقد يكون في داخل نفسه غيرَ راغب في عونك، ومع ذلك لا مناص لك من الاعتراف بفضله وإسداء جزيل الشكر له.

عجبًا لك أيُّها العاقّ لوالديه! معروف واحد تشكُرُ مُسديه صباحَ مساء، وجبالٌ من المعروف من والديك قد كفرتَ شُكرَها وجحدتَ فضلها!

## أيها الأبناء ...

إنّ مما يشنع سماعُه ويثقُل لفظه ما يُرى ويُسمَع ويُقرَأ عن شأن أولئك النشّاز الذين جحدوا وتنكّروا لوالديهم، ويزداد الأمر شناعةً وقُبحًا إذا كان بعضُ أولئك من أهل الصلاة والجمعة والجماعة.

فيا أيُّها المصلّي! ألا تتَّقي الله في والديك؟ ألم تتفكّر في شأنهما؟ ألم تنهَكَ صلاتُك عن سوء صنيعك بهما؟ شابت رؤوسُهما كبَرًا وكمدًا لما رأوا من جُحود حقِّهما ونُكران جميلهما.

يندُب الوالدان حظَّهما ويُعزِّيان نفسيهما وتطعمان عُقوقًا أمرَّ من العلقم مرَّات!

فأحسنَ اللهُ عزاءَكُما أيُّها الوالدان، وأعظمَ أجرَكُما في عِظَم مُصابكُما.

وأما أنت أيُّها العاقّ فمُمهَل لا مُهمَل! وتلك الأيام دُوَل بين الناس.

مسكين أنت! بل مخدوعٌ أنت! تنامُ ملءَ جفنَيك وقد تركتَ والديك ضعيفين يتجرَّعان من العقوق غُصصًا، فنعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اكفنا شرَّ الهوى والشيطان، اللهمَّ ارزُقنا الاستقامة على الرُّشد والفلاح في العمل.

## أيها الأبناء ...

**ولعقوق الوالدين صورٌ كثيرة أكتفي بذِكر سبع صوَر منها :**

* **الصورة الأولى :-** من صوَر عقوق الوالدين: ما يكون من بعض الأبناء من تفضيل زوجته على والديه، فيُقدِّم طاعتَها ويُؤثِر راحتَها على راحتهما، بل قد يتسبَّب في إسخاطهما في سبيل إرضاء زوجته، ويزداد الأمرُ شرًّا إذا كانت زوجتُه دنيئةَ النفس تُعين الشيطان على زوجها.

وكم تحدَّث الناسُ عن زوجة سوء فرَّقت بين المرء ووالديه أو أحدهما، يخرج أحدُهم بزوجته يضرب وإياها في الأرض دُروبًا كثيرةً يقطعون فيافي كثيرة، دون ضجر أو ملل، بل ويُخامرُه في ذلك نشوةُ فرح وسرور، بينما ترى ذلك الرجُل لو طلب والداه أو أحدهما قضاءَ حاجة لهما ــ من السفر بهما والترويح عنهما ــ لأبدى في ذلك وأعاد، وقدَّم عُذرَه واعتذارَه!

وأدهى من ذلك وأمَرّ أن يكون كارهًا متثاقلًا لمرافقتهما في داخل نفسه، وكان الأولى به أن يُقدِّم جانب الوالدين على زوجته، وأن يَعرِض عليهما ما يُدخِل السُّرور عليهما دون ظلم للزوجة، فالقرب من الوالدين قُربة، والبُعد عنهما مسخطة، فبرّ الوالدين سببٌ عظيم من أسباب البركة في جميع شؤون البارّ؛ مالية أو بدنية أو نفسية، فكم صلحت بيوت وبورك فيها بسبب برّ أربابها بآبائهم وأمّهاتهم، وكم تفرّق شمل وتشتّت جمعٌ بسبب العقوق.

فاللهمّ إنا نسألك أن ترزقنا برّ آبائنا وأمّهاتنا، وأن يبارك لنا في أعمارنا وأولادنا، اللهمّ أوزعنا شُكر نعمتك، اللهمّ اشرح صدورنا ويسِّر أمورَنا.

## معاشر الأبناء ...

* **الصورة الثانية** من صور العقوق: إظهار العُبوس عند مقابلة الوالدين أو أحدهما، يُقابل أحدُهم صاحبَه فيُبادره ببشاشة ووجه طلق، ويحرص أن يكون أسبق من صاحبه في ذَلك، بينما ترى ذلك المحيا يتلاشى أو أغلبه عند مقابلة والديه أو أحدهما.

قال r : «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق لكان ذلك من المعروف».

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة».

فإذا كان التبسُّم مع عموم المسلمين صدقة فهو مع الوالدين صدقة وبرّ وقُربة.

وإنّ من التناقض أنّ بعضهم يتصنّع ويتكلّف في إظهار البشاشة عند ملاقاة الآخرين، بينما تراه يتثاقل في إظهار ذلك مع الوالدين، وكان الأولى به أن يُوطّن نفسه على إدخال السرور عليهم من أيّ وجه كان، ولعل البشاشة والانبساط من أبلغ المؤثّرات عُمقًا في نفوس الوالدين.

## معاشر الأبناء ...

* **الصورة الثالثة** من صور العقوق: رفع الصوت عليهما أو مقاطعة كلامهما بزجرهما وفرض رأيه عليهما، وهذا من الخزي والخذلان والعياذ بالله، إذ إنّ مروءة الشخص تحجر عليه وتأبى له أن يرفع صوتَه عند جليسه، فضلًا عن مقاطعته قبل إتمام حديثه.

فتلك الطباع ــ من رفع صوت ومقاطعة ــ مما يذمّه عقلاء الناس ويعيبون فاعليها، فكيف إذا كان ذلك مع الوالدين؟! لا ريب أنّ الأمر أقبح وأشنع، بل يزيد ذلك بما يجرّه على صاحبه من الأوزار والآثام.

* **الصورة الرابعة** من صور العقوق: النظر إلى الوالدين شزرًا وذلك بإحداد النظر إليهما، فتلك الصفة تكون ترجمةً وعنوانًا لغيظ متّقد داخل جوفه، فيا عجبًا ممّن هذا شأنه! أنُزِعت الرحمة من قلبه؟!

قال مجاهد رحمه الله تعالى: «ما بَرّ والديه من أحدَّ النظر إليهما».

بل قال غيرُه: «لا ينبغي للولد أن يدفع والده إذا ضربه».

فيا سُبحان الله من مخلوق نزع جلباب الحياء عن وجهه ورمى بحقّ والديه جانبًا، و لم يكتفِ بذلك، بل استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فرفع لسانه وأحدَّ بصرَه، فمثل هذا يخشى عليه العقوبة العاجلة قبل الآجلة.

## معاشر الأولاد ...

* **الصورة الخامسة** من صور العقوق: التأخّر في قضاء حاجاتهما، والشناعة في هذا أن ترى الوالد أو الوالدة يسألان ولدهما عن حاجة كلّفاه بها فيُظهِر لهما عُذرَه واعتذارَه، ثم يُسوِّف في إنجازها... وهكذا دواليك حتى يسأمان سؤالَه في ذلك.

بل إنّ بعض العاقّين لا يكتفي بعدم الاهتمام بإنجازه حاجةَ والديه، بل يستثقل تكليفهما له، وبخاصة إذا كان للوالدين غيرُه من الأبناء، فترى ذلك الولد يتضجَّر من أمر والديه له دون إخوته، بل قد يُفاتح والديه في ذلك قائلًا: لِمَ لا يُكلّف أخي فلان؟ ولِمَ لا يذهب بدَلي أخي فلان؟ لِمَ أكون أنا الغادي والرائح دونهم؟ إلى غير ذلك مما تأباه الدِّيانة والمروءة مع الوالدين، وهو بذلك يحرم نفسَه من خير كثير، بل يجلب على نفسه وزرًا عظيمًا، وكان الأَولى به أن يفرح بتكليف والديه له، بل عليه أن يعرض نفسه وماله ووقته للقيام بخدمتهما ورعاية شؤونهما، فذلك خيرٌ وأعظمُ أجرًا.

## معاشر الأولاد ...

* **الصورة السادسة** من صور العقوق: أن يناديه أحدُ والديه أو يتّصل عليه فيتعمّد عـــدم الردّ عليه، وهذا عملٌ مشين قبيحٌ لو ناداه أحدُ الناس، فكيف بوالديه عياذًا بالله.

بل ذلك بعضُ الفقهاء أنّ المصلِّي إذا كان يصلّي نافلةً وناداه أحدُ والديه فإنه يجيبُه تعظيمًا لشأن الوالدين، ودليل ذلك عندهم حديث قصة جُريج، والحديث في «صحيح مسلم».

وهذا القول وإن كان مرجوحًا عند بعض أهل العلم لمنع الكلام في الصلاة، لكنه يُبيِّن عظم شأن نداء الوالدين لولدهما.

## معاشر الأولاد ...

* **الصورة السابعة** من صوَر العقوق: أن يسُبَّ الولد والديه، وذلك بأن يـــسُبَّ الولـــدُ والدين لأحد الناس، وهذا من كبائر الذنوب، وأيضًا يرجع ذلك المـــسبوب فيـــسُبّ والـــدي السابّ.

فهذا نوعٌ من العقوق؛ لأنّ الولد السابّ تسبَّب على أبويه بالسبّ واللعن، كما قال r : «إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجُل والديه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديـــه؟ قال: «يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمَّه فيسبّ أمّه». أخرجه البخاري ومسلم.

## معاشر الأبناء ...

إنّ الكلام عن صُوَر العقوق وتعدادها يطول جدًّا، فصورُه كثيرة متنوِّعة، تارةً تكون قوليةً وتارةً تكون فعليةً، وتارةً أخرى يجتمع القول والفعل معًا.

وبكلّ حال؛ فالجامع ذلك كلّه أنّ ما سبَّب إساءةً للوالدين وأدخل الحزن عليهما في غـــير معصية الله تعالى فهو نوعٌ من العُقوق، ويختلف الإثم المترتّب على فاعله بحسب أذيّته وإســـاءته لوالديه.

## معاشر الأبناء ...

ولعظم جُرم العقوق جاءت نصوصٌ كثيرةٌ تحذّر من مغبّة ذلك الأمر، فمن ذلك مـــا رواه المغيرة بنَ شُعبة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله r : «إنّ الله حـــرّم علـــيكم عقـــوق الأمّهات». رواه البخاري.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رســـول الله r : «ألا أنبّـــئكم بـــأكبر الكبـــائر ـــ ثلاثًا ـــ ؟». قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقـــوق الوالـــدين...». رواه

البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله r : «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، ومُدمن الخمر، والمنّان...» الحديث، أخرجه النسائي والبزار والحاكم وصحّحه، وجوَّد إسنادَه المنذري.

## معاشر الأبناء ...

ولما كانت عقوبة العقوق معجَّلةً في الدنيا؛ لقوله r : «ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم». أخرجه الإمام أحمد.

لما كان الأمر كذلك؛ رأى الناس مصداقَ ذلك، بل إنّ بعض العاقِّين يعرف ـ بل قد يعترف ـ أنّ تلك المصيبة التي نزلت به قد تكون في الغالب عقوبةً له جزاءَ ما ارتكب بحقّ والديه أو أحدهما.

ابنٌ يطرُد أباه! وآخر يضرب أباه! وثالثٌ يقهر والده قولًا أو فعلًا! ورابع يرفع لسانه على أمِّه!

وكما تدين تُدان، ولا يظلمُ ربُّك أحدًا.

ومن عجيب ما ذُكر في جزاء العاقّ ما ذكره ابنُ أبي الدنيا في «كتاب القبور» ونقله ابنُ القيِّم في «كتاب الرُّوح» عن أبي قزعة قال: مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار، فقلنا لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجُلٌ كان عندنا كانت أمُّه تكلِّمه بالشيء فيقول لها: انهقي! فلما مات سُمع هذا النهيق من قبره كلّ ليلة.

وذكر الخبر المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ مقارب ثم قال: رواه الأصبهاني وغيره.

وقال الأصبهاني: حدّث به أبو العباس الأصمّ إملاءً بنيسابور بمشهد من الحفاظ فلم يُنكِروه.

فنعوذ بالله من الخِزي والخذلان!

## فمعاشر الأبناء ...

سبق الكلام على شيء يسير مما يتعلق بشأن الوالدين وعن خطر عقوقهما وعظيم جُرم العاقّ لهما والخوف عليه من العقوبة المعجَّلة قبل المؤجَّلة، وقد تكاثرت النصوص في الكتاب والسنّة الآمرة بالقيام بحقّ الوالدين، والناهية عن التقصير في جانبهما والمساس بمقامهما.

وفي المقابل جاءت ــ كما تقدّم ــ نصوصٌ كثيرة في بيان فضل منزلة برّ الوالدين، وهذه الأدلة المتكاثرة على اختلافها وتنوّعها ــ من مُحذّرة للعقوق، وآمرة بالوصل والبرّ، ومُبيِّنة لرفيع منزلة الوالدين ــ كل هذه الأدلة تدلّ دلالة واضحة على أهمية شأن الوالدين.

وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد كان أنبياء الله ورسله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ والمصلحون والصالحون من أسبق الناس إلى القيام بشأن الوالدين؟

## معاشر الأبناء ...

إنّ مظاهر برّ الوالدين كثيرة جدًّا، ويجمع ذلك كلّه طاعتهما في غير معصية الله تعالى.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «البرّ أن تطيعهما في كلّ ما أمراك به ما لم تكن معصية لله تعالى». انتهى كلامه.

**ولبرّ الوالدين صور كثيرة:**

**الصورة الأولى** من برّ الوالدين: خفض الجناح لهما.

**والثانية:** تقبيل رأسيهما.

**والثالثة:** الدعاء لهما.

**والرابعة:** ذِكرهما بالجميل.

**والخامسة:** المبادرة في قضاء حوائجهما.

وأما برّ الوالدين بعد موتهما فعلى صُوَر كثيرة، منها:

الدعاء لهما، وقضاء ديونهما، وصلة من كانا يُحبَّان صلته.

وهناك أربعة أحوال يزيد فيها البرّ:

**الحال الأولى:** عندما تتزوَّج أيها الابن، أو عندما تتزوجين أيتها البنت، فهنا يزيد البرّ؛ ذلك لأنّ خروج الابن أو الابنة إلى بيت الزوجية يترك فراغًا في بيت الوالدين وحُزنًا عاطفيًّا في قلبيهما، فعليكم أيها الأبناء والبنات بمضاعفة الدعاء للوالدين ومضاعفة الاتصال بهما وزيارتهما وعدم الانقطاع عنهما.

**الحال الثانية:** عند سفر أحد الوالدين يضاعف البر بالموجود منهما، ذلك لأنّ الوالدين وإن كانا يأنسان بالحديث مع أولادهم إلّا أنّ حديثهما سويًّا قد يملأ وقتهما بحكم السنّ وطول العشرة، فإذا سافر أحدهما شعر الآخر بفراغ قد يملأ أكثره مضاعفة البرّ به والجلوس معه أكثر.

**الحال الثالثة:** عند مرض أحدهما فهنا ينبغي مضاعفة البرّ والدعاء والسعي لإدخال السرور عليه والتألّم لألمه وعدم التضجّر من مرافقته في المستشفى أو كثرة التردُّد عليه.

**الحال الرابعة** ــ وهي أبلغها ــ: وذلك عند موت أحد الوالدين فهنا ينتقل برُّه إلى الحيّ منهما والحرص على إدخال السرور على قلبه ولزوم مجالسته وبخاصة إذا لوحظ عليه بوادر الحزن، والمبادرة بفعل وقول ما يُخفّف عليه ألم المصاب.

# من ثمار بر الوالدين

## معاشر الأبناء والبنات ...

لما كان عمل الخير يعود على صاحبه في الدنيا بالنفع وفي الآخرة بالأجر، كان برّ الوالدين من أعظم الأعمال التي تظهر ثمرتها في الدنيا، وأما في الآخرة فما عند الله خيرٌ وأبقى.

## معاشر الأبناء والبنات ...

أذكر لكم بعض الثمار التي يجنيها مَن بَرَّ والديه، فمن ذلك:

طاعة الله تعالى. طاعة الرسول r . من برَّ والديه برَّه أولادُه.

من أسباب حلول البركة في العُمر والرِّزق.

من أسباب قبول الدعاء، كما في قصَّة أصحاب الغار الثلاثة.

التوفيق في أمور حياته.

## معاشر الأبناء ...

إنّ من برَكات برّ الوالدين أنه يجلب إلى البارّ ثمارًا من الخير كثيرةً، بل في ذلك الفوز في الدِّين والدنيا والآخرة، وقد وردت نصوصٌ كثيرةٌ تتضمَّن بشائر ومغانم لمن بَرَّ والديه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله r : «من أحبَّ أن يُبسَط له في رِزقه ويُنسأ له في أَثَره فليصل رحمه». أخرجه البخاري.

وجاء في «صحيح مسلم» في خبر أويس القرني أنه خير التابعين، ومن أسباب ذلك أنه كان بارًّا بأمِّه.

وكذا ما جاء في الصحيحين في خبر أصحاب الغار، وكيف كان برّ الوالدين سببًا في دفع المصائب.

ومما سبق من تلك النصوص وغيرها يظهر لنا جميعًا شيءٌ من ثمار برّ الوالدين، فمن ذلك:

أنّ برّ الوالدين من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى. أنه سببٌ في بركة الله للبارّ في رزقه وعُمره.

سبب في إجابة الدعاء. سبب في دفع المصائب.

ينعكس أثره على أولاد البارّ فيبرُّه أولادُه كما برّ والديه.

وكلّ هذه الثمار وغيرها جاءت شواهدُها وأدلتها في نصوص صحيحة صريحة.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا ممّن برُّوا والديهم وبرَّهم أبناؤهم.

اللهمَّ أهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيِّئها لا يصرف عنّا سيّئها إلا أنت.

## معاشر الأبناء ...

ولما كان برّ الوالدين من القُربات العظيمة التي تسابق إليها الأتقياء من عباد الله من الأنبياء والرُّسل لإ، وقد تقدّم في مقام سابق ذِكرُ شيء من ذلك، لما كان كذلك ناسب أن يُذكرَ هنا شيءٌ **من برّ العلماء الرَّاسخين لوالديهم**، لعل ذلك أن يكون سببًا في شحذ ومضاعفة همم الشباب الصالحين خاصة وغيرهم عامّة.

فمن ذلك: ما جاء عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى: «أنّ أمه رحمها الله تعالى كانت تأمره أن يذهب بها إلى حلقة عمر بن ذرّ حتى تسأله عن بعض ما أشكل عليها، مع أنّ ابنها كان إمامَ زمانه، ومع ذلك قال أبو يوسف: رأيتُ أبا حنيفة يحمل أمّه على حمار إلى مجلس عمر بن ذرّ كراهيةَ أن يردّ على الأمّ أمرَها.

وقال الحسن بن زياد: حلفت أمّ أبي حنيفة بيمين فحنثت، فاستفتت أبا حنيفة فأفتاها فلم ترض وقالت: لا أرضى إلا بما يقول زرعة القاصّ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة، فقال زرعة مخاطبًا أمَّ أبي حنيفة: أفتيكِ ومعكِ فقيهُ الكوفة؟! فقال أبو حنيفة: أفتها بكذا وكذا، فأفتاها فرضيت».

ومن الأمثلة أيضًا: ما جاء عن محمد بن بشر الأسلمي أنه قال: لم يكن أحدٌ بالكوفة أبرَّ بأمِّه من منصور بن المعتمر وأبي حنيفة، وكان منصور بن المعتمر يفلي رأسَ أمِّه.

أما حيوة بن شُرَيح ــ أحد الأئمة الأعلام ــ فقد كان يقعد في حلقته يُعلِّم الناس فتقول له أمُّه: قُم يا حيوة فألقِ الشعير للدجاج، فيقوم ويترك التعليم.

وقال محمد بن المنكدر: باتَ أخي عمر يُصلي، وبتُّ أغمزُ رِجلَ أمِّي، وما أُحِبُّ أنّ ليلتي بليلته.

وكان حجر بن الأدبر يلمس فراش أمِّه بيده ويتقلّب بظهره عليه ليتأكّد من لينه وراحته، ثم يُضجعُها عليه.

وأمّا الإمام ابن عساكر الحافظ الكبير محدِّث الشام فقد سُئل عن سبب تأخّر حضوره إلى

بلاد أصفهان فقال: لم تأذن لي أمِّي.

وأما مؤرِّخ الإسلام الإمام الذهبي رحمه الله تعالى فقد قال في ترجمة أحد أئمة الإسكندرية: فازددت تلهّفًا وتحسُّرًا على لقيِّه، و لم يكن الوالد يُمكّنني من السفر.

وقال في ترجمة أحد أئمة بغداد: وكنت أتحسَّر على الرحلة إليه وما أتجسر خوفًا من الوالد فإنه كان يمنعُني.

وسافر مرَّةً أحدُ الأئمة ثم قال: وكنتُ قد وعدتُ أبي وحلفتُ له أني لا أقيم في الرِّحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفتُ أن أعُقّه... إلى غير ذلك.

فيا مَن برَّ والديه ورعاهما بالعطف والتقدير زادكَ الله حرصًا، وعُد إلى ذلك واستمرَّ عليه، فسترى من ربِّك ما تقَرُّ به عينُك وينشرح به صدرُك.

ويا من عقّ والديه أو أحدهما اتّق الله تعالى في نفسك، ألم تعلم بأنّ عقوق الوالدين دَين لا بُدّ من قضائه؟

أيّ قلبٍ تحمل في جوفك وقد تركتَ والديكَ أو أحدَهما يذرف الدمعَ كمَدًا وقهرًا؟!

ألم تعلمٍ أنك بذلك تُسخط ربَّك وتَجني لنفسك شرًّا؟ فاتّق الله تعالى ثم استغفر لذنبك، وكفِّر عن خطيئتك، فبادر ببرِّهَما وطلب الصفح منهما، عسى اللهُ أن يتوب علينا وعليك.

اللهمَّ اكفنا شرَّ النفس والهوى.

اللهمَّ اجعلنا ممَّن يستمع القول فيتَّبع أحسنه.

اللهمَّ ارزُقنا برَّ الوالدين وارزقنا برَّ أبنائنا.

اللهمَّ آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار.

وقبل أن أختم رسالتي ووصيَّتي لكم أيّها الأبناء والبنات أذكر لكم قصَّتين واقعيتين رأيتهما بنفسي يتبيَّن فيهما شيءٌ من فضل الله تعالى في جزاء من أحسنَ، وعدله لأ في جزاء من أساء، وربُّنا يُنعم على من يشاء بفضله، ويُعاقب من يشاء بعدله، ولا يظلم ربُّك أحدًا.

## القصة الأولى تتعلّق بالبر، والأخرى بالعقوق.

**أما القصة الأولى:** فلقد سمعتُ عن رجل من أهل النسب والحسَب والجاه ممَّن عُرف بالعبادة والصلاح عند كثير من أهل العلم والصلاح، ولما كان في آخر عُمره أصابه مرضٌ فكَان أولادُه بارِّينَ به في حياته، إلا أنّ أحدَهم كان برُّه متميِّزًا عن غيره حتى كانَ يغسل قدمي والده لما كان طريح الفراش في المستشفى إلى أن توفّاه الله تعالى.

ولقد رأيتُ أنا أولادَ ذلك الابن البارّ الذي كان يغسل قدمي والده رأيتهم يتسابقون إلى برِّ أبيهم مع كثرة خدَمه وحشَمه، بل رأيتُ أحدَ أبنائه يُلبسُه نعليه ويُساعده على إصلاح غُترتـه وعقاله، كلّ هذا بطيب نفس وانشراح صدر من ذلك الابن.

فقلت لذلك الرجُل: أبشر يا فلان، فهذا جميلُك بوالدك، سمعتُ عن بِرِّك بوالـدك بـأذنيَّ ورأيتُ برَّ أولادِك بعينيَّ.

فكان يحمد الله كثيرًا، ويشكره كثيرًا.

**أما القصة الثانية: فمتعلقة بالعقوق:**

ففي ليلة كنتُ في أحد مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زائرًا لهم، وفي أثنـاء ذلك جاء بعض أولاد الحيّ يُخبرون رئيس المركز أنّ هناك امرأةً تصرُخ في الـشارع والنـاس حولها، فخرجت فرقة من مركز الهيئة، وطلب رئيس الفرقة أن أرافقَه في سيارته الخاصة، فذهبت إلى مكان الواقعة وإذا بأناس مجتمعين حول امرأة تحمل رضيعًا على صدرها، فطلب رئيس الفرقة أن أُكلّمها فسألتها عن خبرها، فأشارت إلى بيت مقابل يجلس عنده ولدٌ عمرُه حوالي ١٥ سنة، فقالت: هذا منزلي وقد أخرجني ولدي وقد رفع السكِّين عليَّ حتى أخرجني... إلخ القصة.

والشاهد منها: أنّ رجلًا عسكريًّا كان معنا في تلك الليلة أخبرني أنه يعرف أمَّ هذه المـرأة، وقد اشتكت إليهم في مركز الشرطة قديمًا بأنّ هذه المرأة قد طردت أمَّها من المنزل، وكما تدين تُدان.

## معاشر الأمهات والآباء ...

البرّ بكم حقّ لكم أوجبه الله تعالى وأوجبه نبيُّه r فمنزلتُكم رفيعة ومرتبتُكم شريفة، جاء ذِكرُ حقِّكم في آيات وأحاديث كثيرة، لكن بعض الأمهات وبعض الآباء قد يكون سببًا في فقد شَيء من الحقّ الذي له، بل قد يكسبان إثمًا مع ذلك بأمور يرتكبانها مع أولادهم.

ومثال ذلك:

- تفضيل بعض الأولاد على بعض بدون حقّ.
- كثرة الدعاء على الأولاد، بل قد يصل الحال إلى السبّ والشتم لأدنى الأسباب.
- الغضب والتضجُّر إذا طالب الأولاد ببعض ما يحتاجون إليه.
- حرمان الأولاد من أمور يمارسها أقاربُهم وجيرانُهم وليس فيها محذور شرعي.
- ارتكاب المعاصي أمام الأولاد، بل المجاهرة بها.

- الغياب المستمرّ عن المترل وإهمال شأن الأولاد وأهله.
- البخل والتضييق في الإنفاق على البيت.
- كثرة النقد والسخرية والتهكّم بالألقاب المشينة للأولاد.

فيا من وقع في هذه الأمور من الأمهات والآباء أوصيكم بتقوى الله تعالى في أنفسكم وفي أولادكم.

فمثل هذه الأمور تهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح، وتجعل عاقبة الأمر خسرًا، فتُحرَمـان أيها الوالدان مما لكما من البرّ والتقدير، وتكونان سببًا في تأثيم من وقع في العقوق من أولادكم.

اللهَ أسأل أن يوفق أولئك الأمهات والآباء وأن يرزقهم برَّ أولادهم بهم، إنه تعالى سميعٌ مجيب.

# الفهرس